المحاضره الرابعة

المبحث الثاني: مرجعية الفكر الاسلامي وخصائه

المطلب الأول: مرجعية الفكر الإسلامي

. أولا: القرآن الكريم

يظهر جليا أن الفكر الإسلامي اعتمد القرآن الكريم مصدرا رسميا استنبط منه طرق الفهم الصحيح، واعتمده دون مناقشة، حيث أن القرآن . الكريم دستور إلهي غير قابل لوضعه في دائرة التجارب والاحتمالات

ولو تأملنا القرآن الكريم لوجدناه يفتح المجال الواسع لحركة العقل الإنساني، ويظهر لنا هذا واضحاً عندما نجد أنه لا يقدم نصوصاً قاطعة في كثير من المسائل، بل تأتي تلك النصوص مرنة أو عامة أو ذات مقاصد .كلية

يقول سامي النشار: "إن البحث المنصف إذا تحرى عن حقائق الحياة الإسلامية خلال التاريخ الطويل، يرى أن مظاهر الفكر الإسلامي المتنوعة كلها انطلقت من الإسلام وجالت في دائرته واصطبغت بصبغته، وأن القضايا الكلية والجزئية التي أثيرت في التاريخ الإسلامي كانت (1)"بأصالة مصدريه الأساسيين

———————

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، د. علي سامي النشار، دار المعارف، ط ٩، ١٩٩٠م./

. وثانيا: السنة النبوية المطهرة

لاشك أن السنة النبوية المشرفة ممثلة بأقوال وأفعال وأحوال سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فصلت كل ما يحتاجه المسلمون من قضايا اجتماعية ودينية وفكرية، ثم بات فهمها سائغاً للعقول عن طريق علماء الأمة الكبار الذين نقلوا لنا هذا الدين ابتداءا من آل البيت الأطهار عليهم السلام، والصحابة الكرام رضوان الله عليهم، لتتكون صورة الفكر الإسلامي الرائع، الذي منح الإنسانية الجمال، ورسم خطوط الاعتدال والرقي في الفكر والتفكير، وربط جميع المعتقدات عن طريق الحوار البناء، ونشر ثقافة المحبة والتسامح بين الناس أجمعين، وما وصف الفكر الإسلامي بأنه إسلامي إلا لأنه انطلاق من هذين المصدرين الإلهيين. القرآن والسنة.

ثالثا: العقل هو ثمرة التزام الفكر الاسلامي بمصدريه الرئيسين

إن التزام الفكر الإسلامي بالقرآن الكريم كوحي إلهي ثابت فتح مجال الإبداع أمام العقل ضمن الضوابط الشرعية .

حيث قام على مدار التاريخ ببناء القضايا الكونية والاجتماعية التي أثارها هذان المصدران المعصومان على أساس المرتكزات العقلية التفصيلية والاستنباط منها والتوسع فيها وشرح وجوهها المتنوعة وإثبات أن النص القاطع الوارد في كلا المصدرين موافق للعقل الصحيح . وهو لعقل المعتبر السليم الذي لا يتناقض مع الأسس الشرعية للمرجعية النصية.

ففي مجال العقائد الدينية استخدم الفكر الإسلامي أساليبه العقلية لحل المشكلات الفكرية عن طريق فك البراهين اليقينية القرآنية، الحصول على نتائجها العقلية الصحيحة .

ومن ثم

فضلاً عن استخدام القوانين المنطقية من اجل مكافحة الأفكار المبنية على مخالفة العقيدة الإسلامية، حيث لم تغب عن العقل الإسلامي محاولات المخالفين للإيان رغم مجيئها بفلسفات أجنبية كادت ان تسحب البساط من تحته وخصوصا من أفكار فلسفية والحادية دخلت على البيئة الإسلامية بعد القرن الثاني الهجري .

وأما في مجال التشريع العملي فقد استطاع الفكر الإسلامي منطلقا من مبادئ وقواعد الشريعة الإسلامية أن يواجه أحداث الحياة المتغيرة، فيضع لها من الأنظمة التفصيلية والأحكام الاجتهادية الكثيرة والحلول ناجعة المبدعة التي أقامت الحياة الحضارية الإسلامية في تفاصيلها قيقة، فأنتجت بذلك رقيا شاملا في المجتمع الإسلامي أدى إلى رفع ستوى الإنسان المسلم المادي والمعنوي..

تعريف الفكر الإسلامي

. المبحث الأول: الفكر والعقل

.المطلب الأول: تعريف الفكر

.أولا، الفكر لغة

قال ابن فارس: " تردد القلب في الشيء، يقال تفكر إذا ردد قلبه

معتبرا، ورجل فكير : كثير الفكر " (١)، وقال ابن منظور: " الفكر والفكر

إعمال الخاطر في الشيء، وجمعه أفكار، والفكرة كالفكر، والتفكر التأمل،

والاسم الفكر والفكرة، والمصدر الفكر بالفتح "(٢) وفكر: " يفكر،

تفكيرا، فهو مفكر، والمفعول مفكر فيه وفكر الشخص: مارس نشاطه

الذهني وفكر في الأمر: تفكر فيه، تأمله، أعمل العقل فيه ليصل إلى نتيجة

أو حل او قرار "فكر في المستقبل - يفكر في حل مشاكله

.ثانيا: الفكر اصطلاحا

قد لا نرى اختلافا في تعريف الفكر بين معناه اللغوي

. والاصطلاحي كا اقر بذلك علماؤنا ومفكرونا

———————

معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،

. دار الفكر، ط ١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م/٤ :٦٤٦

لـان العرب، محمد بن مكرم بن منظور ي (٢)

بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،

. دار الفكر، ط ١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م/٤ :٦٤٦

(٢) لـان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ت ٧١١هـ، دار صادر، بيروت،

. طا، بت ٥: ٢٤٠١

. اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م./٣: ١٧٣

قال الغزالي رحمه الله: " الفكر إحضار معرفتين في القلب ليشمر

فيها معرفة ثالثة " (1). وعند الرازي: " الفكر جاء بمعنى

التأمل" لبدل"

.(1) " على معنى الفكر

أما التفكر فهو: " طلب المعنى بالقلب، وذلك لأن فكرة القلب

.(3) " المسمى بالنظر والتعقل في الشيء والتأمل فيه والتدبر له

والتفكير:" اكتشاف المجهولات، من طريق المعلومات، والمفكر
مكتشف ما دام مفكرا، ولا امتاز الإنسان عن سائر الحيوانات، بالعقل
والتفكير، امتاز عنه بالتنقل والتحول، في أطوار حياته، ونظم معيشية
بمكتشفاته، ومستنبطاته، فمن المشي على الأقدام، إلى التحليق في الجو
مثلا، وبقي سائر الحيوانات على الحال التي خلق عليها دون أي
(4)" انتقال
وعند المعاصرين الفكر هو: " ظاهرة تاريخية واجتماعية، نمت
بالعمل البشري والمارسة الاجتماعية، وتطورت خلال المراحل المختلفة

———————

إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ت ٥٠٠٠، دار المعرفة، بيروت، طا، د.ت / ٤: ٤٢٠

(1) المنطلقات الفكرية عند الإمام الفخر الرازي: محمد العربي / ١٣١.

اليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرت بأمره) سورة النحل/١٢، ثم أن هذا التسخير بذاته، دعوة لإعمال العقل وتثوير الفكر، إذ يقول سبحانه في ذيل الآية آنفا: (إن في ذلك لايات لقوم يعقلون) سورة الرعد/ ٤.

فإذا علمنا ذلك استوعبنا حقيقة المكانة العظيمة للفكر، والمقام الذي يتمتع به، تبعا للمقام الذي يحوزه حامله وهو الإنسان.

ثانيا: أنها تتجلى عن عظمة الدين الإسلامي وعالميته وإنسانيته، وأنه عقيدة قائمة على العلم والمعرفة، وأن وسيلته في كسبها هو العقل والفكر، دون سائر الأديان الأخرى، التي جعلت بينها وبين العقل والفكر حاجزا، فأضحت هي في جانب، وعقل الإنسان في جانب آخر، فعطلت العقل وحجمت الفكر، وقتلت أسباب النظر فيه، وأعطته مساحة واسعة من السير في المجهول، والغرق في لجج الظلم والجهل، وسمحت له، بل دفعت به إلى عبادة مخلوقات، خلقت أصلا لتكون في خدمته.

والحق إن تعطيل أدوات الفكر عند أصحاب هذه الأديان، التي لا تشمل الأديان الأرضية أو البشرية، كعباد الشمس والقمر والنجوم والبقر، وسواهم، بل تشمل حتى الأديان السماوية، التي رفعت السماء يدها عنها، ولم تتكفل بحفظها أو حفظ كتبها، ونسختها بدين الإسلام، فهي الأخرى، منعت العقل وعقلت الفكر، حين سمحت لمعتنقيها بالإشراك بالله، وإدخال البدع والأكاذيب فيها

محورية الفكر في القرآن الكريم

زخر القرآن الكريم بالآيات الداعية إلى إعمال الفكر في هذا الخلق المترامي، وبما يحتويه من عجائب صنع الله تعالى، ولو أننا أردنا استقصاء الآيات الواردة في الحث على التفكر والحض عليه، لاستلزم المقام مباحث ومباحث، ولكننا سنعرض ما يفي الغرض ويحقق المطلوب.

من هنا فإن كتاب الله العزيز تارة يحرك الأفكار نحو الخلق، كقوله سبحانه: (وهو الذي من الأرض وجعل فيها روسي وأنهرا ومن كل الثمرت جعل فيها زوجين اثنين ينشى اليل النهار إن في ذلك لايت لقوم يتفكرون) سورة الرعد/3، وقوله جل شأنه مبينا مكانة الماء في بث الحياة في أنحاء هذا الكون المترامي، وأنه من أهم الأسباب التي منحت الكون الحياة، وقوله تعالى: (ينيث لكريه الزرع والزيوت والتخيل والأغنب وين كل الثمرت إن في ذلك قامة لقوم يتفكرون) سورة النحل/١١، ملفتا الأنظار ومحركا الأفكار باتجاه حقيقة، اختلاف الثمرات وتنوعها، مع كونها تتفتق من ماء واحد، وتراب واحد، وقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام)، حينها سئل عن طعم الماء فقال (عليه السلام) طعم الماء طعم الحياة))(١)فسبحان الذي خلقها وسواها))

وفطرها، من كائن لا طعم له ولا لون ولا رائحة، ومن تراب أصم، ليهب تلك الحيوية والجمال الفائق والطعم الرائق والألوان المتعددة لتلك الأصناف المتنوعة من الفواكه والخضر والنباتات، التي خلقت لتشبع رغبة الإنسان، وتلبي احتياجاته الأساسية من البروتينات والفيتامينات، وسواها من العناصر الغذائية التي يحتاجها جسم الإنسان، قال تعالى:

وجعلنا من الماء كل شئ حي) ، وتارة أخرى يهيج أسباب النظر) والتأمل في العقول نحو عجيب مخلوقاته سبحانه، قال جل عزه كاشفا عن أسرار النحل: (ثكلى من كل الثمرت فأسلكي شبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألونه فيه شفاة الناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) سورة النحل/69 ، وتارة ثالثة يدعو الى التأمل في ماهية الخلق، وكيفية تناسل وتكاثر بني البشر، قال سبحانه: (ومن اينته أن خلق لكم من أنفسكم أزوجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لايت لقوم يتفكرون) سورة الروم/٢١،مؤخرا الرحمة عن المودة، لأن الزوجين يحتاجان إلى الرحمة في كبرهما، أكثر مما يحتاجان إلى المودة، فها أأنس بالمودة في شبابها، وأحوج للرحمة في شيخوختمها، ولا يخفى ما في لفظة (لتسكنوا) من إشارة واضحة على العلاقة الزوجية التي .الكليني: الكافي ٦/٣٨١